# بانتظار ١٤ نيسان...

## بول الأشقر

كنت في البرازيل منذ شهر وكان عليّ أن أبقى شهرا إضافيا لإتمام بعض المعاملات الخاصة. أذكر أني ودعت صديقتي العائدة إلى بيروت بعد ظهر هذا الأحد المشؤوم، وفي طريق العودة من مطار ساو باولو سمعت على الراديو خبر حادثة البوسطة. الروائي أمين معلوف راقب من شرفة منزله، المطلة على مكان الحادث، عجقة السيارات الحربية وسيارات الإسعاف التي كانت تذهب وتعود من دون انقطاع، ساحبة الجثث والجرحى. المخرج برهان علوية كان يضع اللمسات الأخيرة لحملة إطلاق فيلمه «كفر قاسم» في سينما في شارع الحمراء وآخرى في شارع الحمراء إبتداء من ٢١ نيسان، وهي قصة فيلم يروي مجزرة بحق بلدة فلسطينية. فجأة، أصبح موضوع عرض الفيلم ثقلا مستحيلا. الرئيس سليمان فرنجية، وكان على رأس الدولة، لم يعرف بالحادث إلا في ١٤ نيسان باكرا عندما استمع في سريره في المستشفى الى الـBBC. كانت عائلته فضلت ان تخفي عليه هذا الخبر المزعج حفاظا على صحته بعد العملية الجراحية التي أجريت له في مستشفى الجامعة في ١٢ نيسان. سونيا خوري طعمة كانت أنجبت إبنتها يمنى في الأول من نيسان وكانت تقطن في عين الرمانة، وكان زوجها مسافرا. وقد توفي والدها في ليل ١٣ نيسان. عندما أبلغت بنبأ الوفاة (الطبيعية) فجر ١٤ نيسان، تركت بيتها لتدفن والدها في الشمال وتركت إبنتها مع صديق لا يعرف كيف يعتني بالطفلة ولم تستطع أن تسترجعها الا بعد مرور أسبوع. أيمن عواضة، وهو من مواليد نيسان ١٩٦٥، كان تلميذا في مدرسة الليسيه، ويتذكر انه في ١٤ نيسان، مر أخوه الطالب في كلية الطب المجاورة الى المدرسة وأرجعه الى البيت قبل نهاية الدوام. وفي هذه الليلة، سمح له والده للمرة الاولى ان يمضي الليلة الى جانبه في السرير.

***

بعد كل الذي حدث لم يعد ١٣ نيسان مجرد يوم يحدده هذا بعشرة أيام قبل تاريخ مولده والآخر بستة أشهر قبل تاريخ وفاة إمرأة عمه. صار جزءا منا، يوما له قبل وبعد، يوما شطر حياة كل واحد منا الى قبل وبعد. ولكن في الواقع الصورة مضخمة، ولو كانت البوسطة تحاشت عين الرمانة في هذا اليوم كما في النسخة الاولى لـ«فيلم أميركي طويل» لزياد الرحباني، لكنا ابتكرنا ١٣ نيسان آخر. من دون أن نستنجد بذاكرتي، استحضر تدمير الوسط التجاري، معركة الفنادق، السبت الأسود، الكرنتينا والدامور، أحداث عكار، تل الزعتر، إهدن، صفرا، حرب الجبل، حرب طرابلس، ٦ شباط، حروب حزب الله وأمل، حرب المخيمات، حرب التحرير وحرب عون - جعجع الخ... ومن دون اللجوء الى الذاكرة، يكرّ الشريط من انقلاب الاحد المتلفز الى مسلسل الاغتيالات: كمال جنبلاط، موسى الصدر، بشير الجميل، رشيد كرامي، رينيه معوض... كل هذا ١٣ نيسان، ولانحتي من دون أن تدري قد نسيت أحداثا وتذكرت أحداثا اخرى. هذه سنّة الحياة، فلا أحد يتذكر كل الاحداث بالتساوي. ولو حدث شيء من هذا القبيل، لما استطاع هذا المرء أن يقول انه يتذكر. فالتذكر يفترض النسيان وليس كما يعتقد البعض نقيضه. شرط التذكر هو النسيان، وعلينا ان ننسى اكثرية الأشياء لنستطيع ان نتذكر بعضها.

***

١

ما لا أريد أن أنساه انا عجزنا كمجتمع (او كنخبة واعية) في تحاشي الحرب او حتى في تقصير مدتها بعد ان اندلعت او حتى في الخروج منها بعد ان طالت.

ما لا أريد ان أنساه هو أننا كلنا (جماعات وبالتساوي) أفرزنا متاريس وخطف وقصف وملاجئ، ناهيك عن القذائف الفكرية التي لا تقل فتكا بجسم الوطن.

ما أريد ان أتذكره أننا كلبنانيين عانينا وما زلنا من نفس العجز ولجأنا (وما زلنا) الى نفس الأساليب، فأثبتنا من حيث لا ندري وحدة طينة هذا الشعب.

٢

ما لا أريد أن أنساه ان علينا إلغاء الطائفية السياسية والطائفية غير السياسية وحتى الطوائف السياسية. وان هذه المهمة الشاقة تبدأ بصراع بين الشخصين الطائفي واللاطائفي المتعايشين في كل واحد منا.

ما لا أريد ان أنساه ان هناك إلغاء للطائفية قد يؤدي الى نتائج اكثر طائفية من عدم إلغائها. وانها ليست المرة الاولى في التاريخ اللبناني ان يحتكر الطائفيون الشعارات اللاطائفية او حتى العلمانية.

ما أريد ان أتذكره ان المهمة الملحة منذ ثمانين سنة في لبنان تتطلب بناء الطرف اللاطائفي الواقعي والناشط في أوساط جميع الطوائف والمؤهل ليكون قطبا من قطبي الحياة السياسية وغير السياسية. عندئذ، يصبح من المفيد والمجدي التقدم في اتجاه إلغاء الطائفية السياسية وغير السياسية، اي تأسيس المواطنية اللبنانية.

٣

ما لا أريد ان أنساه ان اللبنانيين حرروا أجزاء محتلة من أرضهم المحتلة بالمقاومة العنيدة والمشرفة التي استمرت حوالى عقدين، وان تطبيق الـ٤٢٥ اليوم هو تتويج لهذا الجهد وانتصار مضيء وسابقة في تاريخ الصراع العربي - الاسرائيلي ويأتي في الوقت المناسب، وخصوصا اذا اقترب هذا الصراع من نهاياته.

ما لا أريد ان أنساه ان «الوجود» السوري صار عمره من عمر «الانتداب» الفرنسي، وان التعتيم المفروض على اعادة الانتشار المحدد اجراؤه منذ ثماني سنوات (تشرين الثاني ١٩٩٢) مسيء أساسا للمؤسسات اللبنانية وللعلاقة اللبنانية - السورية. وان لم يكن ممكنا تنفيذه بحذافيره في هذا التاريخ لأسباب تتعلق بما فعلناه (او لم نفعله) في عامي ١٩٩٠ و١٩٩١، أضعف الإيمان كان يقتضي ان تجتمع الحكومتان وتحددا الممكن والمطلوب. ولو فعلتا ذلك، لكانت نزعت الفتيل من كل المناورات الاسرائيلية الراهنة ولكانت أثبتت انها تحترم شعبيها اللبناني والسوري.

ما أريد ان أتذكره اننا نعيش الى جانب فلسطينيي لبنان والى جانب يد عاملة أجنبية، منها آسيوية ومنها أفريقية، وان لكل هؤلاء البشر آدمين حقوقا انسانية واقتصادية وقانونية تخرق كل يوم في لبنان مئات المرات وانه يتوقف علينا نحن اللبنانيين صونها والدفاع عنها. وإتمام واجباتنا ازاء المقيمين على ارض لبنان ليس مئة نقدمها لهم بل وسيلة في متناولنا لإثبات رقينا وأداة اضافية - اذا احسنا استعمالها - لبناء وحدتنا ووطننا.